

## تقرير

خليل حرب

Khalilharb66@gmail.com

هكذا بدأ غزو اميركا لافغانستان.. وانتهى  
سيوف طالبان على مشارف كابول

قضى الامر. مع خروج القوات الاميركية المقرر في 31 اب 2021 من افغانستان، تكون صفحة دموية جديدة قد طويت من تاريخ هذه البلاد المتعبة، لتفتح صفحة دموية جديدة. اميركا فشلت. هذه هي الخلاصة الواضحة من حرب عمرها 20 سنة. لكنها وهي اذ تخرج، تترك خلفها كل صواعق الانفجار الجديد



افغانستان تترك كقبلة موقوتة.

القاعدة وبن لادن، ومنع بقاء افغانستان تربة خصبة تحتضن التنظيمات الارهابية والمخططات المحتملة ضد الولايات المتحدة والغرب. كان هذا الهدف المعلن وقد تحقق بشكل ما من الجانب العسكري، لكنه لم يكتمل. اما الاهداف السياسية والاجتماعية الابعد مدى، كاقامة دولة عصرية ومستقرة وامنة - وبالطبع حليفة للغرب - فقد فضح الانسحاب الاميركي الان، انها تداعت كنمر من ورق.

ناقش العديد من الخبراء والمحللين الاسباب غير المعلنة للهجوم الاميركي على افغانستان، وتحدثوا عن عدة نقاط من بينها: اقامة نظام حكم جديد في كابول موال لواشنطن، والضغط على روسيا من جهة حدودها الجنوبية، وتعزيز الاطلاة الاميركية على منطقة اسيا الوسطى، والاحتكاك بالحدود الغربية للصين، والتموضع على الحدود الشرقية ليران (المدرجة على لائحة دول محور الشر بحسب بوش). كما ان واشنطن سعت الى فرض حضورها العسكري القوي في منطقة بحر قزوين حيث كانت الدول والشركات العملاقة تتصارع من اجل اقتناص الفرص الاستثمارية في مشاريع الطاقة من نفط وغاز.

وظل الجيش الاميركي منذ عام الغزو، كمن يبحث عن دور افغاني غير محدد، فطالبان لم تصمد طويلا في العاصمة والمدن الكبرى وتقهقرت الى الجبال والكهوف النائية. اما بن لادن فقد ظل متواريا سنوات طويلة بعدها. وفي كل الاحوال، فقد تبين ان تكليف القوات المسلحة الاميركية مهمة "بناء دولة" افغانية جديدة، لم يكن خيارا موفقا. كما ان واشنطن في ذروة انشغالها بالهجمة على صدع غرب اسيا باكملة، عادت وحولت ثقلها العسكري في اتجاه العراق في العام 2003، ولم تكمل مهمتها المعلنة في افغانستان، مكتفية على ما يبدو بأن نساء خلعت البرقع، ومجى الرئيس الجديد حميد قرضاي وتشكيل

كليتوتون همس لبوش:  
الخطر الاكبر بن لادن

العراق ويران وسوريا وحزب الله. ثم كانت هجمات 11 ايلول على واشنطن ونيويورك. وبعد اقل من شهر، وتحديدا في 7 تشرين الاول 2001، بدأت الهجمات الصاروخية والغارات على افغانستان، وكان الهدف الاميركي المعلن: القضاء عسكريا على منفذي 11 ايلول، اي تنظيم



الجيش الافغاني يتداعى امام طالبان.

اب الحالي، من تجدد مشهد مكرر من التاريخ: مشهد الرئيس الافغاني نجيب الله مشنوقا في ساحة عامة في كابول العام 1996، عندما قرر العالم باجمعه - بمن فيهم الامم المتحدة نفسها - نفذ يديه من افغانستان وحروب "مجاهديها"، وتركها لاحقا لقمة سائغة لطالبان. ليس متصورا ان طالبان ستكون هذه المرة اكثر رافة بالرئيس الافغاني الحالي اشرف غاني، بعدما مر على الطالبانيين الافغان ما مر من دم وموت منذ ذلك الوقت، وها هي القوات الاميركية الان - تفعل كما فعل السوفييات العام 1989 - اذ تخرج على عجل من بلاد ابتلعت امبراطوريات من قبل ولم تنكسر جبالها، لتترك القوات الحكومية الافغانية فريسة سهلة امام تقدم طالبان الطامحة بطبيعة الحال، الى عودة حكمها المتشدد الى العاصمة كابول، بعدما بدأت تتساقط امام مقاتليها المعابر الحدودية شرقا وغربا.

عندما بدأت فكرة الغزو الاميركي لافغانستان تتبلور فيما لم يكن غبار برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك، قد استقر بعد، وكان العالم كله مصدوما ايضا من قبل بما فعلته طالبان بتمثيل بوذا في وادي باميان التي اقتلعتها الحركة بتفجيرها في اذار 2001، امام عجز العالم واعلان زعيم طالبان الملا عمر وقتها ان "المسلمين يجب ان يفخروا بتحطيم الاصنام، ويجب حمد الله اننا قد دمرناها".

الى الان لم يعرف هذا التزامن الغريب في سلسلة من الاحداث، قبل يومين من

كأنها الاقدار كتبت على الافغان لعنة الجغرافيا والاطماع التي بلا نهاية، وهم يتقبلون ما بين غزو واحتلال. تطلب قرار الخروج الاميركي 20 سنة، مثلما تطلب بؤس التاريخ حروبا متتالية مع البريطانيين في القرن التاسع عشر، وصراعا دمويا مع السوفييات انتهى العام 1989. الان، سيسجل المؤرخون 31 اب 2021، كتاريخ للنهية الرسمية لتواجد القوات الاميركية في افغانستان، بعد 20 سنة من الاجتياح، والسيطرة، والغارات، والاغتيالات، ومحاولات لبناء "دولة"، يكشف الانسحاب العسكري الاميركي الان انها لم تحقق مبتغاه.

وبرغم عشرات مليارات الدولارات التي انفقت منذ العام 2001، لتمويل الجهد الحربي ثم خطط اقامة دولة افغانية جديدة، كانت الوقائع على الارض تقول ان القوات الاجنبية، وعلى رأسهم القوات الاميركية، لم تتمكن في اي مرحلة من مراحل الحرب الافغانية من بسط السيطرة الكاملة على البلاد، وكانت وهي تنفذ انسحابها امام حقيقة مرة بأن حركة طالبان، التنظيم المسلح الذي دخلت قبل 20 سنة لاقصائه وخلق قوى بديلة له، كانت قادرة على التحرك وفرض نفوذها المباشر على نحو ثلث الاراضي الافغانية. ثم راحت تتداعى وتتساقط امامها المناطق التي كان يخليها الاميركيون والقوات الغربية، خصوصا مع الانسحاب المفاجئ والمباغت لقاعدة باغرام الجوية، المركز العسكري الاكبر للقوات الاميركية. قد لا يمر وقت طويل، اذا اكتمل الانسحاب العسكري الاميركي بحلول 31

« تحالف حاكم من "اعداء طالبان"، يهشم قبائل البشتون بشكل كبير، ويستقطب شخصيات من ورثة احمد شاه مسعود، والجماعة الاسلامية المقربة من الاستخبارات الباكستانية، بالإضافة الى تيار الاخوان المسلمين.

بمعنى اخر، سلمت واشنطن مجددا بدور اسلام اباد في الشأن الافغاني، وهي التي تعتبر الحاضنة الاولى والرعاية لطلاب المدارس والدينية التي خرجت جحافل رجال طالبان من الاراضي الباكستانية في الاساس، ومجموعات المتطرفين و"الجهاديين" الاوائل الذين حاربوا السوفيات برعاية امنية وعسكرية اميركية-باكستانية.. وعربية.

المهم ان عشرات الاف الجنود الاميركيين ظلوا تحت نيران مسلحي طالبان في مختلف المناطق وعبواتهم التفجيرية وصواريخهم. الى ان حل العام 2007، عندما ادخل بوش تعديلات على اهداف الجيش الاميركية في افغانستان، قائلا ان المهمة الآن هي "هزيمة الارهابيين واقامة دولة مستقرة ومعتدلة وديموقراطية تحترم حقوق مواطنيها، وتحكم اراضيها بشكل فعال، وان تكون حليفا موثوقا بها في الحرب ضد المتطرفين والارهابيين".

في الوقت نفسه، كان العراق قد غرق في حرب اهلية، وكان يتحتم على الجيش الاميركي التعامل مع حربين يواجه فيها جنوده هجمات "حرب العصابات"، وصراعات داخلية مسلحة في البلدين. لم يكن كل هذا، سوى وصفة دقيقة للفشل. يقول محللون اميركيون الان ان الحرب الاخيرة التي خاضتها واشنطن وانتصرت فيها كانت حرب "تحرير الكويت" العام 1990، لان ذلك كان الهدف المعلن والمحدد، وتحقق. ولم يحدد الرئيس جورج بوش الاب وقتها اية اهداف اخرى كتغيير النظام في بغداد او بناء دولة جديدة في العراق وتغيير البنية المجتمعية للبلد. وفي افغانستان ذهب واشنطن بقيادة مقهور المحافظين الجدد، نحو وجهة اخرى، ربما اكثر عبثا وتهورا.



اميركا تخرج على خطى السوفيات.

## من التاريخ

عندما كانت بريطانيا في اوج عظمة امبراطوريتها في القرن التاسع عشر، اضطرت الى خوض العديد من المعارك والحروب في افغانستان بهدف اخضاع هذه البلاد العصية. كانت بريطانيا تحتل الهند التي هي اكر مساحة وسكانا، لكن افغانستان استعصت عليها وابتلعت جنودها كما ابتلعت السوفيات والاميركيين من بعدهم في جبالها ووديانها وطبيعته الجغرافية الشائكة وتعقيداتها الاجتماعية والسياسية والقبائلية. هزمت بريطانيا في العام 1840 ثم مجددا في العام 1880، واضطرت لاحقا الى الاقرار باستقلال افغانستان العام 1921.

في ذروة الحرب الباردة، اجتاحت الاتحاد السوفياتي افغانستان في العام 1979، حيث كان الحكم الشيوعي مهددا من تنامي قوة الاسلاميين المسلحين. لكن تورط في حرب استنزفته طوال عشرة اعوام، خسر فيها 15 الف عسكري. ودخلت الولايات المتحدة ودول عربية في عملية تسليح وتجنيد مباشرة لمجموعات من المتطوعين من العالمين العربي والاسلامي لانهاك السوفيات. هؤلاء الجهاديون، كانوا النواة الاولى التي تشكل لاحقا تنظيم القاعدة الذي ورثه تنظيم داعش لاحقا.

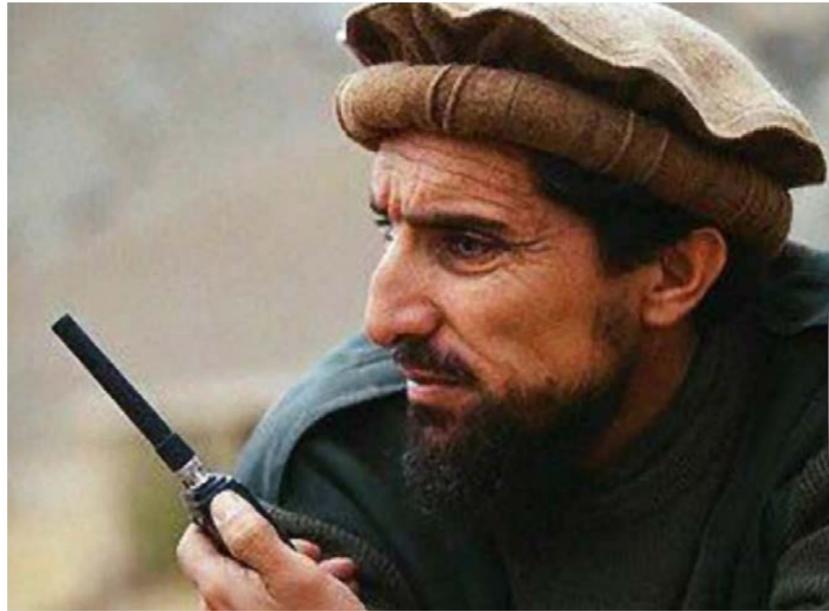
ولت تلك الاوهام التي بنيت على فكرة ان الافغان سيخرجون حشودا الى الشوارع احتفالا بقدوم الاميركيين لـ"تحريرهم" من طالبان، وبأن زعماء الحرب الذين ارتدوا بزات رسمية وربطات عنق سيؤسسون دولة مدنية جديدة. ولم تكن طالبان وحدها من يجدد تغلغله في المجتمعات الافغانية، لكن ايضا تنظيم داعش الذي

في ما يبدو استعادة لمشاهد سقوط مدينة سايجون الفيتنامية في العام 1975. كان بايدن اعلن قبل اربعة شهور انه سيسحب القوات الاميركية بحلول 11 ايلول 2021. لكن العديد من النواب والجنرالات العسكريين الاميركيين انتقدوا "موعد 11 ايلول" لانه يوحي بهزيمة اميركية صريحة بربطها بتاريخ وقوع الهجمات على نيويورك وواشنطن قبل 20 سنة بالتمام والكمال، يمنح طالبان "نصرا رمزيا".

لهذا يبدو ان التعديل ادخل على الموعد من جانب بايدن الذي قال "نحن ننهي اطول حرب" في تاريخ الولايات المتحدة. بذلك، تكون واشنطن استغرقت 20 عاما لاتخاذ قرار الانسحاب الذي طال كل هذا الوقت. وفي كل الاحوال، فان الرئيس السابق دونالد ترامب هو الذي اعلن صراحة رغبته في الانسحاب عندما توصل الى اتفاق مع طالبان حول ذلك خلال مفاوضات رعتها العاصمة القطرية الدوحة في شباط العام 2020، وحدد موعدا للخروج بحلول ايار 2021.

عشرون عاما منذ الغزو، والحرب العنيفة، لتعود البلاد الى نقطة الصفر، وتستعد الاقليات كالتاجيك والهزارة والاوزبك وغيرها من احتمالات صراع دموي مع طالبان التي لم "تتعقل"، وهو صراع مثابة قنبلة موقوتة اذا انفجرت ستطاول شطاياها الصين المتخوفة من التمدد "الجهادي" الى مناطقها الاسلامية، وايران التي عانت الاميركيين من طالبان وجماعتها قبل اكثر من 20 سنة، وروسيا التي لا تزال ذاكرتها مرة بازاء افغانستان، بالإضافة الى الدول الاقليمية، فيما قد تتحول هذه البلاد الى مرتع جديد لتمرکز الجماعات المتطرفة.

في النهاية، هكذا تركت افغانستان: عشرات الاف المقابر فتحت خلال 20 سنة، والامم المتحدة تقول بعد كل هذا الوقت ان 18 مليون افغاني يحتاجون الى مساعدة انسانية، بينهم 3.1 مليون طفل يواجهون خطر سوء التغذية.



احمد شاه مسعود الذي اغتيل قبل ساعات من هجمات 11 ايلول.

الجيش الافغاني على التصدي لحركة الطالبان. لكن المؤشرات في الاسابيع الماضية تشير كلها الى ان الجيش الافغاني يتداعى حرفيا. وقد سيطرت طالبان على معابر حدودية مع ايران وطاجكستان وتركمانستان. ومن غير المعروف ما اذا كان اشرف غاني سيتمكن من البقاء في القصر الرئاسي خلال الايام المقبلة، بل اكثر من ذلك، اذ ان الاميركيين انفسهم يشككون في ما اذا كانت السفارة الاميركية في كابول ستظل قادرة على الاستمرار في وجودها هناك، عندما تبدأ طالبان بمحاصرة العاصمة استعدادا لدخولها عنوة لو تطلب الامر،

لفت نظره الى ان سحب القوات الاميركية بهذا الشكل وبهذا التوقيت والمرحلة التي تعيشها افغانستان، يعني انه يضع بلاده على شفير الحرب الاهلية. لكن كان من الواضح ان بايدن لم يعد يريد ان يستمع.

في 8 تموز الماضي، حسم بايدن امره وعدل موعد الانسحاب قائلا انه سيتم في 31 اب الحالي. كان الهم انه تنصل من فكرة "بناء" دولة جديدة، بقوله ان بلاده "حققت اهدافها" في مكافحة التهديد الارهابي، وهي لم تذهب الى افغانستان "لبناء امة" بل تلك "مسؤولية" الافغان انفسهم، معربا عن "ثقتهم في قدرة"

## عقيدة بوش

بحلول تشرين الثاني 2002، كانت ادارة الرئيس الاميركي جورج بوش قد حسمت امرها بغزو العراق بعدما اعلن عن "عقيدة بوش" التي قضت باستخدام القوة العسكرية الاميركية للاطاحة بالانظمة الاستبدادية، واستباق الارهابيين بضرهم ونشر الديموقراطية. كانت هذه العقيدة فعليا تنويجا لافكار المحافظين الجدد التي روجوا لها منذ ما بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. وفي خطاب "حال الاتحاد" العام 2002 اعلن بوش ان العالم المتحضر يواجه الخطر من "محور الشر" الذي يضم العراق وايران وكوريا الشمالية.